دور المستوى الصرفي في تكامل وتساند المستويات اللسانية في تحليل الخطاب القرآني: الإمداد و الاستمداد

حسناء فوحال

طالبة باحثة في سلك الدكتوراه بالكلية المتعددة التخصصات بالراشيدية والتابعة لجامعة مولاي اسماعيل بمكناس

إشراف: الدكتور عبد المجيد طلحة استاذ بالكلية المتعددة التخصصات بالراشيدية

المغرب

توطئة:

يروم هذا الفصل كما يتضح من عنوانه إلى الكشف عن منزلة المستوى الصرفي بربطه بالنظام اللغوي في مستوياته: الصوتية والنحوية والدلالية، باعتبار أن الكلمة مؤلفة من أصوات (المستوى الصوتي)، و مشكلة في هيئات صرفية(المستوى الصرفي)، هذه الأخيرة تمثل لبنة من لبنات التركيب اللغوي(المستوى التركيبي)، فهذا النسيج المتكامل بين هذه المستويات يؤدي في النهاية إلى ظهور المستوى الدلالي الذي هو الغرض الأساسي من الخطاب. إذن فعلاقة الامداد و الاستمداد بين علم الصرف و العلوم الأخرى قائمة و متفاعلة و متراكمة تتجدد في كل لحظة وعند طلب شاهد أو عند تفسير أي خطاب. ولعل الخطاب القرآني من أبرز النصوص التي تستلزم تنزيل فكرة التكامل باعتباره كتلة لغوية متماسكة لا تقبل التجزيء والتفكيك.

وسوف تشمل قضايا هذا الفصل على المباحث الآتية:

- **المبحث الأول**: المستوى الصرفي ودوره في تكامل المستويات اللسانية
- **المبحث الثاني**: منزلة علم الصرف في السلم التكاملي للمستويات اللسانية في تحليل الخطاب القرآني

المبحث الأول: المستوى الصرفي ودوره في تكامل المستويات اللسانية

المطلب الاول: بين المستويات اللسانية و الخطاب القرآني.

المطلب الثاني: منزلة الصرف من المستويات اللغوية اللسانية وورد في هذا المطلب:

أ : الصرف و الصوت: المنطلقات الصوتية للصيغة الصرفية

ب: الصرف والنحو: دور الصيغة الصرفية في تحديد الوظائف النحوية

ج : الصرف والدلالة: الدلالة مبتغى كل العلوم

المبحث الأول: المستوى الصرفي ودوره في تكامل المستويات اللسانية

إن اللغة ليست مجرد أصوات تصدر عن جهاز النطق فحسب، وإنما هي أكبر من ذلك فهي تتضمن الوظائف والمعاني والقواعد التي تنظم هذه العلاقات بين هذه الأصوات، وتتركب اللغة من عدة مستويات هي: النظام الصوتي، و النظام الصرفي، و النظام النحوي، و النظام الدلالي، "و الحدود بين هذه المستويات غير واضحة تماما ومتشابكة، فأصوات اللغة مثلا تتأثر كثيرا بالصيغ، والعكس كذلك صحيح،

والصوت والصيغة كلاهما يتأثران –غالبا– بالمعنى، كذلك يوجد تبادل مطرد بين الصرف والنحو"[1] بمعنى أن الأصوات تشكل الصيغ، والصيغ تشكل التراكيب، والتراكيب تنشئ المعاني، فهذه المستويات تكون في مجموعها كلا متكاملا، وأن كل واحد منها مرتبط بسابقه ولاحقه ارتباطا وثيقا، وكلها ترمي إلى هدف نهائي واحد هو بيان خواص اللغة المدروسة ومميزاتها. إذن فاللغة العربية بناء لغوي متكامل تربط بين مستوياته علاقات و وشائج وتآزر. فالتعالق بين العلوم قائم والتفريق بينها تفريق صناعي تفرضه حاجة البحث و طبيعته.

المطلب الأول: بين المستويات اللسانية و الخطاب القرآني

من خصائص النص القرآني أنه نص عربي، أنزله الله بلسان العرب وفق سننهم في القول، ومعهودهم في الخطاب، لهذا فعلوم اللسان العربي هو لسان الملة، وبه نزل القرآن، يقول الله تعالى: "﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾"[2] وكونه نزل باللغة العربية جعل القرآن الكريم يستثمر كل إمكانات اللغة صوتيا وصرفيا وتركيبيا ودلاليا وبلاغيا لفهم الرسالة الربانية، وقد تفطن العلماء لأهمية علوم اللغة في فهم مراد الله. يقول ابن تيمية رحمه الله "نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب."[3] لهذا اشترطوا لمن أراد إدراك معاني القران الكريم، وفك مغاليقه، والنفاد إلى مراميه أن يتسلح بكافة المستويات اللسانية في بعدها التكاملي لهذا نجد ابن خلدون في معرض حديثه عن العلوم وأصنافها والواجب منها وغير الواجب يقول " النظر في القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها "[4] باعتبارها علوم آلة، نشأت لخدمة النص القرآني، وحفظه وفهمه وتوضيح معانيه، فتكاملت فيما بينها لتحقيق الغاية الموحدة وهي ايضاح المقاصد الربانية "والمراد من مسألة تكامل المستويات في الدرس اللساني، أن يتوصل المفسر إلى نتيجة مفادها أن النص القرآني نص متماسك، تترابط ألفاظه ترابطا لغويا نحويا متينا، وينشئ الترابط نظاما محكما لا يقبل التجزيء وكانه كله كالسورة الواحدة".[5]

ويتضح مما سبق أن المستويات اللسانية كتلة متكاملة، وهذا التكامل إنما يستمد مصدره من وحدة الهدف الذي نشأت هذه المستويات كلها من أجله وهو خدمة النص القرآني وفهمه منها:

–علم الأصوات: المستوى الصوتي الذي نشأ و ارتبط بجهود علماء القراءات.

–علم النحو والصرف: نشأ لتيسير فهم القران و الحماية من اللحن فيه.

–علم الدلالة: يمثل الغاية التي من أجلها تدرس المستويات النحوية، والصرفية، والصوتية،

"وهكذا أدت وحدة موضوع الدراسة (الخطاب القرآني) بين مستويات الدرس اللغوي إلى وحدة و تكامل هذه المستويات."[6] ومنه فعلاقة المستويات اللسانية بالخطاب القرآني علاقة الوسيلة بالغاية، فالنص القرآني اذن من أبرز النصوص التي تستلزم تنزيل فكرة التكامل .

---

[1] مختار عمر، أسس علم اللغة، ص: 44

[2] سورة الشعراء ، الآية : 195

[3] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ت: ناصر عبد الكريم العقل، ط: السابعة، 1419هـ - 1999م، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ج1، ص: 527

[4] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: 808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ت: خليل شحادة، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م، النشر: دار الفكر، بيروت، ص: 550

[5] بودرع، عبد الرحمان، الانسجام والتماسك في بنية النص القرآني، دراسة في تكامل المستويات، تكامل المستويات في تحليل الخطاب القرآني، ط 2020، فريق البحث في اللغة والفنون والأدب بتافيلالت، ص: 70

[6] بودرع ، الانسجام والتماسك في بنية النص القرآني، دراسة في تكامل المستويات، ص: 87

المطلب الثاني: منزلة الصرف من المستويات اللغوية الأخرى

إن علم الصرف "لا غنى عنه في علوم اللغة كلها، ومناحي الحياة جميعها، بل ويذهب بعضهم إلى أن كل ما وضع في هذه اللغة العربية من تصنيف فهو مفتقر إلى علم التصريف"[7] وهو مستوى لغوي يقع وسطا بين الأصوات و النحو فهو سقف للمستوى الصوتي وعتبة للمستوى النحوي، وهذا ما فطن إليه ابن جني وهو واحد من أبرز اللغويين العرب القدامى حين ذكر أن الاولى تقديم درس الصرف على درس الإعراب فقال" فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة،"[8] وموقعه هذا أكسبه أهمية بالغةورتب عليه وظائف متباينة، فهو خادم و مخدوم، يعطي و يأخذ، يفيد من الأصوات، ويخدم النحو، وهذا ما أكده ابن جني بقوله" و التصريف وسيلة بين النحو واللغة يتجاذبانه، والاشتقاق أقعد في اللغة من التصريف، كما أن التصريف أقعد إلى النحو من الاشتقاق، يدلك على ذلك أنك لا تجد كتابا في النحو إلا والتصريف في آخره."[9] و موضوع الصرف يمثل "المادة الخام لموضوع النحو، فالكلمات هي اللبنات الأساسية التي تتكون منها الجمل، وفي المقابل فإن كونه سقفا للمستوى الصوتي يقتضي بداهة أيضا أن فهم الصرف فهما دقيقا و محكما متوقف بدوره على الإفادة من معطيات علم الأصوات، نظرا إلى أن الأصوات هي المادة الخام التي تتكون منها الكلمات."[10] إذن فعلاقة الصرف بالعلوم الأخرى علاقة تأثير وتأثر، وعلاقة إمداد واستمداد.

أ-الصوت و الصرف :المنطلقات الصوتية للصيغة الصرفية

يعد الصوت اللغوي عصب الكلام ومادته الأساسية، ومن خلال تعاضد الأصوات وتركيبها في هيئات صيغية تدخل في مجال علم الصرف، لأن الأصوات هي اللبنات التي تشكل كلمات اللغة وصيغها، ولهذا النظام الصوتي أهمية بالغة تتضح في مدى صلته بالعلوم اللغوية، " ولقد فطن النحاة العرب إلى أن اللغة العربية لا يمكن أن يفهم نحوها وصرفها فهما صحيحا إلا بعد دراسة أصواتها."[11] و أكثر فروع علم اللغة صلة بعلم الاصوات و ما يدرسه هو علم الصرف ولذلك قيل فيهما :

-لا وجود لعلم الصرف بدون علم الأصوات.

-أكثر فروع الدراسة اللغوية حاجة للتحليل الصوتي هو علم الصرف .

-"من أكثر العلوم استفادة بعلم الصوتيات علم الصرف أو المورفولوجي"[12]

وترجع هذه الصلة أو العلاقة إلى مدى "حاجة الدراسة الصرفية التي تستدعي معرفة دقيقة بطبيعة الأصوات التي تكون الصيغة وخصائصها، و علاقة الأصوات بعضها ببعض من حيث التجانس أو التنافر في داخل الكلمة، مع الوقوف على التغيرات الصوتية التي تتعرض لها الأصوات من الزيادة و الحذف و التطويل و التقصير و الإدغام و الإبدال و القلب"[13] وواقع الصيغ وما يحدث في أصواتها يشهد بهذه العلاقة.

---

[7] الحميري ، نشوان بن سعيد اليمني (ت: 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ت: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 1999 م، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية) ص: 4

[8] ابن جني، المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، ص: 4

[9] نفسه، ص: 4

[10] الشايب، فوزي حسن، في الصرف العربي ثغرات و نظرات، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، العدد السادس ديسمبر 2014 م، ص: 77

[11] حسان، تمام، اللغة بين الوصفية و المعيارية، ط 4 سنة: 2001م، عالم الكتب القاهرة ، ص 166.

[12] علام، عبد العزيز أحمد، علم الصوتيات، مكتبة الرشد ناشرون، ص: 46

[13] نفسه، ص: 46

فطن العلماء إلى علاقة علم الصرف بعلم الأصوات، وحاولوا إيجاد تفسير وتعليل لمعظم هذه الظواهر المشتركة كظاهرة الإبدال مثلا، فهو ظاهرة صرفية- صوتية شائعة، كثر استعمالها في اللسان العربي، وتكرر ورودها في مختلف الأشكال والأنماط الكلامية. ومن ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى:" ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾"[14] فصيغة "اصْطَبِر" الواردة في الآية الكريمة مزيدة بحرفين، وقد وردت على وزن "افْتَعِل" وأصلها على وزن "فعل" أي "صبر" فهي مزيدة بالألف والطاء لكن الأمر الذي لا يقبله لأول وهلة الدارسون للصرف العربي، أن الطاء ليست من حروف الزيادة، وهي عشرة يجمعها قولك " اليوم تنساه"، ويذهب العلماء إلى تفسير هذا التغير الحاصل في الصيغة الصرفية، وتعليل الظاهرة تعليلا صوتيا، فقد ورد في شرح شافية ابن الحاجب أن "الطاء من التاء لازم في "اصْطَبَرَ"، يعني إذا كان فاء "افتعل" أحد الحروف المطبقة المستعلية، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء، وذلك لأن التاء مهموسة لا إطباق فيها، وهذه الحروف مجهورة مطبقة، فاختاروا حرفا مستعليا من مخرج التاء، وهو الطاء، فجعلوه مكان التاء، لأنه مناسب للتاء في المخرج والصاد والضاد والظاء في الإطباق "[15]

ونفس المذهب ذهب إليه المفسرون عند تفسير الآية الكريمة، وبيان مراد الله أن فسروا صيغة "اصطبر" بدلالة صيغة "افتعل"، وعيا منهم بالتغيرات الصوتية الحاصلة في الصيغة، يقول الطاهر بن عاشور: "والاصطبار: شدة الصبر على الأمر الشاق، لأن صيغة الافتعال ترد لإفادة قوة الفعل. وكان الشأن أن يعدى الاصطبار بحرف (على) كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾"[16] وفسر الآية بصيغة الافتعال الدالة على قوة الفعل بأن "أمر الله رسوله بما هو أعظم مما يأمر به أهله وهو أن يصطبر على الصلاة. والاصطبار: الانحباس، وهو مستعمل مجازا في إكثاره من الصلاة في النوافل"[17] ونفس التفسير وورد عند بن عمر نووي يقول:" وأمر أهلك أي أهل دينك بالصلاة، لئلا يهتموا بأمر المعيشة، ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة. واصطبر عليها، أي على مشاقها وثابر عليها غير مشتغل بأمر المعاش."[18]

وهذا الوعي بالتغيرات الصوتية الطارئة على الصيغة الصرفية، امتد إلى تفسير آيات أخرى كقوله تعالى في سورة يس: "﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾"[19] يقول صاحب التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية وعند الوقوف عند صيغة "يَدَّعُون" وما طرأ عليها من تغيير صوتي " ويدعون يجوز أن يكون متصرفا من الدعاء أو من الادعاء، أي ما يدعون إليه أو ما يدعون في أنفسهم أنه لهم بإلهام إلهي. وصيغ له وزن الافتعال للمبالغة، فوزن يدعون يفتعلون. أصله يدتعيون نقلت حركة الياء إلى العين طلبا للتخفيف لأن الضم على الياء ثقيل بعد حذف حركة العين فبقيت الياء ساكنة وبعدها واو الجماعة لأنه مفيد معنى الإسناد إلى الجمع... فيؤول إلى معنى: ويتمنون في أنفسهم دون احتياج إلى أن يسألوا."[20] ومن هذا يتضح أن علم الصرف استعان بعلم الأصوات لتفسير هذه الظاهرة، وما وقع فيها من تجاور الأصوات وتأثير بعضها ببعض. "فأدغمت التاء في الدال وكان ذلك أولى من إدغام الدال في التاء لأن الدال حرف مجهور والتاء حرف مهموس والمجهور أقوى من المهموس، وكان رد الحرف إلى الأقوى أولى من رده إلى الأضعف فأبدلوا من التاء دالا وأدغمت الدال الأولى فيها فصارت يدعون".[21]

---

[14] سورة طه ، الآية : 132

[15] الاستربادي، شرح شافية ابن الحاجب، ص: 226

[16] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 16، ص:142

[17] نفسه، ج، 16 ص: 342

[18] نووي، محمد بن عمر الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (ت: 1316هـ)، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، ت: محمد أمين الصناوي، ط: الأولى – 1417 هـ، النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ج 2، ص: 42

[19] سورة يس، الآية: 57

[20] الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير ،ج 23، ص: 43

[21] القرطبي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي المالكي (ت: 437هـ)، مشكل إعراب القرآن، ت: د. حاتم صالح الضامن، ط: الثانية، 1405، النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ج 2، ص: 607

ويتضح مما سبق أن هذا المبحث برر عنوانه عن علاقة الإمداد والاستمداد بين علم الصرف وعلم الأصوات، فيتضح من الإبدال أنه ظاهرة من الظواهر الصوتية والصرفية في آن واحد، وهذا يعني أن الصيغة الصرفية تجمع عوامل صوتية وصرفية تؤدي إلى حدوث هذا الإبدال، و نفس الشيء بالنسبة للإدغام وظواهر أخرى شهدتها الصيغ الصرفية، فالعلاقة بين العلمين علاقة متفاعلة متراكمة تتجدد في كل لحظة وحين عند طلب شاهد أو عند تفسير آية قرآنية.

ب–بين الصرف و النحو: دور الصيغة الصرفية في تحديد الوظائف النحوية

فبعد التعرف في مبحث سابق أن الدرس الصرفي ونظامه متصل من جهة بالدرس الصوتي وما يقدمه له هذا الدرس من تجاور الأصوات لتشكيل الصيغ، فهو من جهة أخرى يتصل بالدرس النحوي، فيقدم له صيغا ومعاني صرفية تفيد في تركيب الجملة وصورها، وما تؤديه من معنى وهذا ما سيحاول هذا المبحث الكشف عنه.

إن علم "التصريف يتوقف عليه وضوح الحكم العربية، ويفتح من أبواب النحو ما كان مقفلا، ويفصل من أصوله ما كان مجملا"[22] لهذا يحتاج إليه "جميع المشتغلين باللغة العربية، من نحوي ولغوي، إليه أيما حاجة؛ لأنه ميزان العربية "[23] وقد كان ينبغي أن يقدم علم التصريف على علم التركيب، لكونه يهتم بمعرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسه، قبل أن يتركب، ينبغي أن يكون مقدمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب. وهذا ما ورد عن ابن جني وهو واحد من أبرز علماء الصرف العرب القدامى أن الأولى تقديم درس الصرف على درس النحو فقال: "فالتصريف..."[24] وفسر سبب تقديم النحو على الصرف في بعض المؤلفات بقوله: "إلا أن هذا الضرب من العلم لما كان عويصا صعبا بُدِئ قبله بمعرفة النحو، ثم جيء به بعد؛ ليكون الارتياض في النحو موطئا للدخول فيه، ومعينا على معرفة أغراضه ومعانيه، وعلى تصرف الحال."[25] ونفس السبب ذكره ابن عصفور يقول "إلا أنه أُخِّر للطفه ودقته، فجعل ما قدم عليه من ذكر العوامل توطئة له"[26]

فمن كلام ابن جني وابن عصفور يتضح أن الأصل أن يقدم الصرف على علم النحو وهذا ما فعله أبو حيان تطبيقيا وعمليا في كتابه " ارتشاف الضرب "إذ يقول في مقدمة هذا الكتاب عن موضوعه "وحصرته في جملتين: الأولى في أحكام الكلم قبل التركيب، والثانية: في أحكامها حالة التركيب."[27] لكن هناك من العلماء من نظّر إلى هذا الأصل وعيا منهم بأسبقية علم الصرف على النحو، لكنهم قدموا النحو لضروريات معينة كالسيوطي في كتابه "إتمام الدراية لقراء النقاية" يقول في مقدمة كتابه "وقدمت النحو على التصريف وإن كان اللائق بالوضع العكس، إذ معرفة الذوات أقدم من معرفة الطوارئ والعوارض، لأن الحاجة إليه أهم"[28] ومنه فعلم الصرف خطوة تمهيدية للنحو، ومقدمة له وذلك أن موضوع الصرف هو هيأة الكلمة وأصولها، وموضوع النحو هو الكلمة و عوارضها، وما كان اهتمام الدارسين بالمستوى الأدنى للغة وهو الكلمات إلا وسيلة لخدمة المستوى الأعلى و هو الجمل، ففهم المباني من خلال التحليل الصرفي هو المدخل الطبيعي لإدراك المعاني

---

[22] ابن مالك، محمد بن عبد الله، الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: 672هـ)،إيجاز التعريف في علم التصريف، ت: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، ط: الأولى، 1422هـ/ 2002م، النشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ص: 56.

[23] ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف (ت: 669هـ)، الممتع الكبير في التصريف، ط: الأولى ،1996، النشر: مكتبة لبنان، ص: 31.

[24] نص مذكور ينظر ص: 88

[25] ابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف ،ص: 5.

[26] نفسه، ص: 33

[27] الأندلسي ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت: 745 هـ)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، الطبعة: الأولى، 1418 هـ – 1998 م، النشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ج 1، ص: 4.

[28] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ)، إتمام الدراية لقراء النقاية، ت: الشيخ إبراهيم العجوز، ط: الأولى، 1405هـ 1985م، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ص: 5

النحوية لهذه المباني لذلك يتم اشتراط صيغة صرفية ما، لتكون مبنى لباب نحوي ما، " فليس للنحو من المباني إلاّ ما يقدمه له الصرف، ومن هنا ندرك مدى الترابط بين العلمين حتى ليصبح التفريق بينهما صناعي لا يبرره إلا الرغبة في التحليل. "[29]

فالمستوى الصرفي إذن حسب ما ذكره العلماء يأتي في المرتبة الثانية بعد المستوى الصوتي، وقبل المستوى النحوي، وهذا الموقع يقتضيه المنهج اللغوي عند العلماء في تحليل أي خطاب، الذي هو مركب من أصوت وصيغ وكلمات تشكل نسقا سياقيا، يستدعي بالضرورة الوقوف على أصغر مكوناته ووحداته، وصولا إلى تراكيبه وجمله، مرورا بصيغه وأبنيته فقط من أجل إبراز السمات الدلالية لكل جانب من جوانبه.

إن الزيادة في مبنى الصيغة في بعض الأحيان تعني الزيادة في المبنى التركيبي أيضا، وقد تمتد الزيادة إلى الجانب الدلالي أيضا، فقد ورد في الكليات أن"كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى."[30] والتعدية الصرفية من بين هذه الزيادات، والمتكلم العربي جنح إلى التعدية بعدة وسائل منها الهمزة والتضعيف، وبها يكتسب الفعل التعدية، فكانت ظاهرة التعدي واللزوم ظاهرة صرفية نحوية، فعن طريق الزيادة في صيغتي "أَفْعَل" أو "فَعَّل" يتم استدعاء عنصر المفعولية إلى التركيب، ومنه فالدلالة التركيبة مؤسسة على الدلالة الإفرادية غير مقطوعة العلاقة عنها.

ومن ذلك الفعل "خَرَجَ" فهو لازم، وبالهمزة الصرفية يصبح متعديا في هيأة "أَخْرَجَ"، فخرج يكتفى بمرفوعه، أما أخرج فهو يحتاج إلى مفعول بعد فاعله ليفهم معنى التركيب، ومنه يتضح أن بناء الفعل الصرفي قد تحكم في السياق النحوي، فتغير الصيغة من "فَعلَ" إلى "أَفْعلَ" سيحدث حتما دلالة أخرى في التركيب، نحو "خرج علي" فالمعنى هنا يدل على أن عليا هو الذي خرج لا غيره، وأنه أحدث ذلك بنفسه أي خرج بإرادته و المعنى سيختلف إن أصبح التركيب " أخرج علي سعيدا" أي دفعه غيره وعمل على إخراجه من المكان، وهذا ما أشار إليه سيبويه فقال: "هذا باب افتراق فعلت و أفعلت في الفعل للمعنى".[31]

ومثال التعدية بالصيغة الصرفية والكشف عن علاقتها بالتركيب في شرح كلام رب العالمين قوله تعالى في سورة النحل: "﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾"[32] فالفعل "أخرجكم" في الآية جاءت على صيغة "أَفْعلَ" وهذا معطى صرفي فهو فعل متعد مزيد بالهمزة، و لهذه الزيادة (الهمزة في أَفْعلَ) تأثيرا واضحا في سياق التركيب القرآني، فصيغة أفعل قامت باستدعاء عنصر المفعولية إلى التركيب حتى يتم الفهم النحوي، وجاء في تفسير الآية أن "الله عز وجل أخبر بأنه أخرج ابن آدم لا يعلم شيئا، ثم جعل حواسه التي قد وهبها له في البطن سلما إلى درك المعارف، ليشكر على ذلك ويؤمن بالمنعم عليه،"[33] أي أن الله أخرج ابن آدم بمشيئته تعالى وليس ابن آدم الذي خرج بإرادته، بمعنى أن أخرج لم يكتف بالفاعل الذي هو الله عز و جل، بل تعدى إلى مفعول وهو ابن آدم كما ورد في التفسير فالمعنى تعيّن بواسطة المبنى.

---

[29] حسان، تمام، اللغة العربية معناها و مبناها، ط 1994، دار الثقافة، ص: 37

[30] الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، فصل في المتفرقات.

[31] سيبويه، الكتاب، ج4، ص: 55

[32] سورة النحل، الآية: 78

[33] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 3،ص 411

على عكس اللازم منه "خرج" كما في قوله تعالى في سورة القصص: "﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[34] فقد اكتفى بمرفوعه، فخرج من القرية " خائفا على نفسه من آل فرعون ينتظر هل يلحقه طلب فيؤخذ "[35] فخروجه بمعنى إرادي لازم، أي أن موسى عليه السلام خرج بإرادته واحدث ذلك بنفسه.

ومما يبين أيضا صلة الصرف بالنحو، تلك الفائدة الجليلة التي يؤديها علم الصرف حين الإعراب، ويمكن توضيح ذلك من خلال قوله تعالى في سورة الكهف: "﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾"[36] والملاحظ في الآية أن كلمة " ذِرَاعَيْهِ "جاءت منصوبة و ورد في إعرابها " ذِرَاعَيْهِ: مفعول به لباسط منصوب بالياء لأنه مثنى والهاء مضاف إليه.

ولكن السؤال الذي يطرحه الصرفي على النحوي ما الذي نصب المفعول به في هذه الآية ؟

والجواب هنا يجيب عليه الصرفي الذي يبين أن كلمة "باسط" اسم فاعل، وهو معطى صرفي ودوره في النحو أنه يعمل عمل الفعل، أي ينصب المفعول به، وهذا ما وضحه أبو البقاء العكبري يقول :"وَ (بَاسِطٌ) : خبر المبتدأ، و «ذِرَاعَيْهِ» منصوب به، وإنما عمل اسم الفاعل هنا وإن كان للماضي لأنه حال محكية."[37]

والسؤال الذي يطرح نفسه أيضا في نفس الآية هو ما الحكمة في ورود اسم باسط في الآية وليس فعل بسط وهو أيضا سببه سبب صرفي لأن الاسم والفعل ودلالتهما يدرسان في المباحث الصرفية وهذا ما وضحه عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز قائلًا:"فإن أحدا لا يشك في امتناع الفعل ههنا، وأن قولنا: "كلبهم يبسط ذراعيه"، لا يؤدي الغرض، وليس ذلك إلا لأن الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل، ومعنى يحدث شيئا فشيئا. ولا فرق بين "وكلبهم باسط"، وبين أن يقول: "وكلبهم واحد" مثلا، في أنك لا تثبت مزاولة، ولا تجعل الكلب يفعل شيئا، بل تثبته بصفة هو عليها. فالغرض إذن تأدية هيئة الكلب."[38]

وهذا الذي التفت إليه الجرجاني من التمييز بين دلالة كل من الاسم والفعل، وأن الاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحدوث والمزاولة يعتبر أهم الضوابط الصرفية التي يلجأ إليها للتفرقة بين المعاني لأن مهمات الجهاز الصرفي في العربية التفريق بين معنى الصيغ منها الصيغة الاسمية و والفعلية لرفع اللبس في المعاني النحوية المختلفة، دون الخلط بينها في الفهم، وذلك غاية عظمى من غايات علم الصرف التي ترفع اللبس في فهم المعاني.

وانطلاقا من الشواهد القرآنية تتضح علاقة الامداد و الاستمداد بين العلمين، فالصرف يقدم للتركيب المادة الأولية لتنظيم العلاقات، وبيان ماهيتها، اذ يتحدد نوع هذا التركيب من خلال نوع الصيغة، فيتخذ في ذلك سبيلاً للوصول إلى إفصاح المقصود من كلام رب العالمين، فالعناصر الصرفية لها دلالتها على المعاني النحوية المختلفة، ومنه فالمستوى النحوي التركيبيلا يتم بناؤه إلا بتضافر المستويين الصوتي والصرفي معا فمستويات اللغة نسيج متكامل يؤدي في النهاية إلى ظهور المستوى الدلالي الذي هو الغرض الأساسي من التفسير وهو موضوع المبحث القادم.

---

[34] سورة القصص، الآية : 21

[35] الرازي، مفاتيح الغيب، ج24، ص: 587 .

[36] سورة الكهف، الآية: 18

[37] العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (المتوفى : 616هـ)، التبيان في إعراب القرآن، ت: علي محمد البجاوي، النشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج 2، ص: 841

[38] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، (ت: 471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط: الثالثة 1413هـ - 1992م، النشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، ص: 175

ج–الصرف و الدلالة: الدلالة قبلة كل العلوم

يعتبر علم الدلالة علما قوي الصلة بعلوم اللغة عامة، وبعلم الصرف خاصة، فقول العلماء زيادة المبنى تأتي لزيادة في المعنى، دليل على أن هناك تناسب طردي بين الصرف والدلالة، فكلما زاد المبنى قويت الدلالة، فللفظ العربي دلالة معجمية، ودلالة صرفية، فأما الدلالة المعجمية : وهي التي تمثل جوهر المادة اللغوية المشتركة في كل ما يستعمل من اشتقاقها و أبنيتها الصرفية و أطلق عليها ابن جني الدلالة اللفظية وقال: "ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره، "[39] أي "قام يدل على القيام،"[40] فمثلا قام يدل على حدث ما وهو القيام، وعند اشتقاق أبنية عدة من لفظ قام فإن الدلالة الأساسية أو المركزية تبقى مرتبطة باللفظ مهما تغير تصريف الكلمة نحو "يَقُومُ" "قَائِمٌ" "قِيَام" وهي دلالة القيام.

وأما الدلالة الصرفية وهي موضوع هذا المبحث، بل غاية البحث كله، وهي ما سماها ابن جني بالدلالة الصناعية، فقد عرفها وبين قيمتها بقوله: "وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظا، فإنها صورة يحملها اللفظ و يخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه، وجرت مجرى اللفظ المنطوق به، فدخلا بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة."[41] فالدلالة الصرفية يقصد بها الدلالة التي تستمد عن طريق الصيغ، فمثلا نجد أن الفعلين" "قطّع" و "كثّر" فلفظهما يفيد معنى الحدث أي الدلالة على المصدر و وصورته تفيد شيئين: أحدهما الماضي، والآخر تكثير الفعل"[42] فالفعلان يدلان على القطع و الكسر، وهي دلالة اللفظ نفسه فإن قيل قطّع وكسّر بالتشديد فإن صورة اللفظ تنتج لنا دلالة التكثير، وهذا هو الترقي في الدلالة من المعجمية الى الصرفية

وما يبين هذا الترقي "فضرب" يدل معناه المعجمي على فعل الضرب، فإن زيد حرف على هذا البناء تكون لنا بناء جديدا أنتج دلالة صرفية مغايرة للدلالة المعجمية، نحو ضارب فإن بناءه يدل على المشاركة وللتوضيح أكثر :

الدلالة المعجميةضرب تدل على معنى الضرب

الدلالة الصرفيةالألف دال على المشاركة

الدلالة المعجمية +الدلالة الصرفية= المشاركة في الضرب

يقول ابن جني في خصوص هذه الدلالات "اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتد مراعى مؤثر."[43] ومنه تتضح الدلالة الصرفية، وكذا علاقة الصرف بالدلالة وفي الوقت نفسه عن تكامل الدلالة الصرفية والدلالة المعجمية.

ومما يبين تكامل علمي الصرف و الدلالة في القرآن وبيان المعنى الذي تؤديه الصيغ الصرفية من دلالة قوله تعالى: "﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾"[44] ورد في تفسير هذه الآية في صفوة التفاسير أن الأعراب المخلفون قالوا "اطلب لنا من الله المغفرة، لأن تخلفنا لم يكن باختيار بل باضطرار، فهم كاذبون في الاعتذار، وطلب الاستغفار لأنهم قالوه رياء من غير صدق ولا توبة"[45] وقول المفسر "اطلب" دليل على وعيه المفسر بدلالة الصيغ الصرفية لأن ما يبين دلالة الطلب في هذه الآية هي صيغة "استفعل" المتمثلة في "استغفر" وكما

---

[39] ابن جني، الخصائص، ج3، ص: 100

[40] نفسه، ج3، ص: 100

[41] نفسه، ج3، ص: 100

[42] نفسه، ج3، ص: 100

[43] ابن جني، الخصائص، ج3، ص: 100

[44] سورة الفتح ،الآية: 11

[45] الصابوني، صفوة التفاسير، ج 3، ص: 204

ورد في تفسير الطاهر بن عاشور يقول:"ومعنى فاستغفر لنا: اسأل لنا المغفرة من الله إذ كانوا مؤمنين فهو طلب "[46] فلا يكفي لبيان معنى استغفر بيان معناها المعجمي المرتبط بمادتها اللغوية "غفر" وهو الغفران بل لابد أن يضم إلى ذلك معنى الصيغة وهي هنا وزن "استفعل" التي تدل على الطلب فالدلالة الصرفية وضحت مراد الآية.

يتضح مما سبق أن علم الصرف مستوى من مستويات النظام اللغوي، الذي يمثل مجموعة من المستويات البنيوية المتداخلة التي تعمل في تناغم كلي، فعلم الصوت باعتباره المستوى الأول يفضي إلى المستوى الثاني الذي يتمثل في علم الصرف، والثاني ينبني على الأول، والثاني يكون مدخلا للمستوى الثالث، وهو علم النحو ويتمثل المستوى الرابع في علم الدلالة فهو غاية المستويات كلها، ويبقى الفصل بين هذه المستويات متعذرا إلا على مستوى نظري مجرد، وتبقى وسيلة الإبانة الوحيدة عن المعنى اللغوي في مستوياته المتلاحمة: الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي.

المبحث الثاني: منزلة علم الصرف في السلم التكاملي للمستويات اللسانية في تحليل الخطاب القرآني

المطلب الأول : السلم التكاملي للمستويات اللسانية في تحليل الخطاب

المطلب الثانـــي : المستوى الصرفي في السلم التكاملي: مراقب للصحة الصوتية والدقة النحوية من اجل دلالة مخصوصة

المبحث الثاني: منزلة علم الصرف في السلم التكاملي للمستويات اللسانية في تحليل الخطاب القرآني

يرد المستوى الصرفي في المرتبة الثانية في السلم التكاملي بين مستويات التحليل اللساني يأتي بعد المستوى الصوتي وقبل المستوى التركيبي وهذا ما سيوضحه هذا المبحث من خلال وصف وتحليل صيغة صرفية في جميع المستويات لبيان دورها فيها.

المطلب الأول: السلم التكاملي للمستويات اللسانية في تحليل الخطاب

لتحليل أي خطاب لغوي تحليلا دقيقا وواضحا، ينبغي التمييز بين مستوياته اللغوية من صوت وصرف وتركيب ودلالة، والانتقال بينها بشكل تدريجي من مستوى إلى آخر بطريقة تصاعدية، أي من الجزء إلى الكل أو تنازلية أي من الكل إلى الجزء، إلى أن يتم تحليل جميع الوحدات اللغوية، فالأصوات بصفاتها المختلفة، من جهر، و همس، و شدة، ورخاوة،و تفخيم، وترقيق، وما بينها من علاقات كالإدغام و الإظهار و الإعلال و الإبدال تؤثر في تركيب الصيغ الصرفية وتشكيلها، وهذه العلائق بين الأصوات في تشكيل الكلمة من مهمة دارس علم الأصوات، والكلمة هي مادة الصرفي، يحكم تسجيلها و يقدمها مفسرة بصيغها ومحتوياتها ومعانيها، ويأتي النحوي لينظر في وظائفها من خلال دخولها مجال التراكيب، ثم يأتي المنظور الدلالي ليكشف عن محتوياتها داخل السياق، ويمكن التمثيل لهذه المستويات من خلال هذا السلم التكاملي :

[46] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 26، ص: 161

ن[47]=تحليل الخطاب

المستوى الدلالي

المستوى التركيبي

المستوى الصرفي

المستوى الصوتي

فهذا السلم التكاملي يبين علاقة المستويات اللسانية بالنتيجة و هي تحليل الخطاب، فالتدرج في التحليل للوصول إلى النتيجة يبين أن المستوى الأول في قاعدة السلم مساعد للثاني، بل إنه أصل له، ومنطلق للأخذ به، ونفس الشيء بالنسبة للمستوى الثاني والثالث والرابع، فتكون جميع المستويات الواردة في السلم لصالح النتيجة نفسها، فتشترك كلها في الوصول إلى النتيجة وهي تحليل الخطاب، وهذا الترتيب للمستويات يلعب فيه العامل التكاملي دورا حاسما، مع مراعاة موضوع الخطاب والغاية منه، ومع احترام مقتضيات المقام، ومن هذا اتخذ السلم نجاعته إذ تعدد المستويات وكيفية تحليلها للخطاب تستدعي هذا الترتيب والسلمية حيث التكامل يستدعي الانطلاق من الجزء إلى الكل بالإضافة إلى ما تحمله المستويات من طاقة تؤهلها ظفر بالنتيجة وهي تحليل الخطاب.

المطلب الثاني: المستوى الصرف في السلم التكاملي: مراقب للصحة الصوتية والدقة النحوية من أجل دلالة مخصوصة

ولما كان الصرف موضوع هذا البحث، سيتم توضيح هذا التكامل بإحدى الصيغ الصرفية، وقد وقع الاختيار على صيغة "فَعَّلَ"، للكشف عن دورها في السلم التكاملي كمراقبة للصحة الصوتية، بإبراز علاقتها بالمستوى الصوتي في تشكل أصواتها، ثم بيان معناها الصرفي الممثل في التضعيف ودلالته، ثم ندخلها خيمة التراكيب لبيان دورها في تحديد الوظائف النحوية، ومن ثمة توليد معنى جديدا لم يكن موجودا في الأصل المجرد للصيغة، وبالتالي تسهم إسهاما فعالا وواضحا في فهم الخطاب فهما دقيقا، ليحصل الفهم و الإفهام بين السامع والمتكلم كما هو موضح في السلم التكاملي للمستويات اللسانية الآتي:

صيغة "فَعَّلَ" ن: تحليل الخطاب: حصول الفهم والافهام

توليد معنى جديدا لم يكن موجود في الأصل المجرد

استدعاء عنصر المفعولية الى التركيب

التضعيف :التعدية جعل الفعل الازم متعدي

تكرير صوت العين :ادغام صامتين من مخرج واحد

[47] "ن" يقصد بهذا الحرف :النتيجة

يتضح من السلم التكاملي أن صيغة "فَعَّلَ" لها دور واضح في الوصول الى النتيجة المقصودة من الخطاب وهذا الدور بارز في أثر إعمال هذه الصيغة في كل المستويات اللسانية الممثلة في السلم :

على المستوى الصوتي:

يلاحظ أن صيغة "فَعَّلَ" من الناحية الصوتية وقع فيها إدغام، وهو أن تنطق بصامتين من مخرج واحد دفعة واحدة، بحيث يصيران صامتا مضعفا (أو حرفا مشددا) وهدف هذا الإدغام كما لاحظه علماء الصرف هو التخفيف، أو كما قال الصواتيون المحدثون بذل الجهد الأقل. يقول ابن جني في هذا النوع من الإدغام: "والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت، ألا ترى أنك في قطَّع ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نَبَا اللسان عنهما نبوة واحدة، وزالت الوقفة التي كانت تكون في الأول لو لم تدغمه في الآخر، ألا ترى أنك لو تكلَّفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشَّمت لها وقفة عليها تمتاز من شدَّة ممازجتها للثانية بها؛ كقولك: قطْطَع وسكْكَر، وهذا إنما تحكمه المشافهة به. فإن أنت أزلت تلك الوُقَيفة والفترة على الأول خلطته بالثاني فكان قربه منه وادغامه فيه أشد لجذبه إليه وإلحاقه بحكمه. فإن كان الأول من المثلين متحركا ثم أسكنته وأدغمته في الثاني فهو أظهر أمرا وأوضح حكما"[48] ومنه فتشكيل هذه الصيغة الصرفية وما وقع لها من إدغام، يرجع إلى مناسبة مخارج أصواتها، وهذا هو دور الاصوات في السلم التكاملي.

على المستوى الصرفي:

إن هذين الصوتين المدغمين بسبب تكرير عين الفعل شكلا لنا دلالة تسمى عند الصرفيين بدلالة التضعيف، فلتكرير صوت العين أثر في تحديد معنى الصيغة، وهذا يعني أن الصيغة ليست مجرد معنى عاما ينتمي إلى جذر معين، ولكنها مجموعة من الدلالات تستمدها من طبيعة أصواتها، وصيغة "فَعَّلَ" لها عدة معاني صرفية منها أن تأتي للتكثير والسلب وللتعدية، وهذه الدلالة الأخيرة هي التي تهمنا في هذا المقام يقول ابن جني:" اعلم أن "فَعَّلَ" يأتي للتعدية، نحو: فَرِح زيد وفَرَّحْتُه، ومنه: فسق زيد وفَسَّقْتُه."[49] إذن فهمنا من التضعيف الصرفي أنه يجعل صيغة "فَعَّل" متعدية إلى مفعول وهنا يأتي دور صيغة "فعّل" الصرفية في صوغ التركيب النحوي، كمراقب للدقة النحوية في السلم التكاملي.

على المستوى التركيبي:

إن باب التعدي و اللزوم يرد عند علماء النحو، لأنه متصل بوظيفة الفعل النحوية في التركيب، والوسائل التي يتحول بها الفعل اللازم إلى متعد نجد أنها وسائل أشد ما تكون تعلقا بالمباحث الصرفية، وذلك كالتضعيف التي تم تحديدها عند الصرفيين أنها تأتي للتعدية، في نحو "قَطَعَ" لتتحول إلى "قَطَّعَ"، ولا يخفى أن هذا كله يعتمد على الصيغة التي تجعل الفعل متعديا، أو تجعله لازما، وتغير الصيغ بالزيادات والتضعيف مباحث صرفية، أما الوظيفة التركيبية تكون ما بعد هذه الصيغ، فصيغة "فعّل" تقوم باستدعاء عنصر المفعولية ليضاف إلى التركيب، ولتوضيح ذلك عمليا، فخرج في مثل "خرج محمد" ليكون محمد هو الخارج لا غيره، وأنه أحدث ذلك بنفسه، وأن المعنى سيختلف إن أصبح التركيب "خَرَّج محمد عليا" أي دفعه غيره وعمل على إخراجه من المكان، ولو عدنا إلى المستوى النحوي لوجدنا الفعل خرج يتطلب فاعلا فقط، وأن الفعل خَرَّج بالتضعيف الصرفية يضيف إلى مطلب الفاعل مفعولا به، فيكون التركيب على هذا الشكل "خرج محمد" و "خَرَّج محمد عليا من البيت" ومنه فعلاقة المستوى الصرفي والتركيبي هي علاقة بين مادة البناء و البناء نفسه، وهذا هو دور التركيب من السلم التكاملي.

---

[48] ابن جني، الخصائص، ج2، ص: 142

[49] ابن جني، الخصائص، ج2، ص: 142

على المستوى الدلالي:

فالملاحظ على هذا المستوى الأخير أن صيغة "فَعَّل" ولدت تركيبا جديدا، وهذا الأخير ولد بدوره معنى جديدا لم يكن موجودا في الأصل المجرد، ومنه يتضح أن الترابط والتآزر بين علم الصرف والعلوم الأخرى قائم من أجل توليد دلالات مخصوصة

ومما يستشهد به عن تكامل المستويات اللسانية في تحليل الخطاب القرآني قوله تعالى في سورة الرحمان: "﴿ الرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾"[50] ومعنى الآية وما ورد في سياقها تعدد نعم الله عز وجل على الإنسان، منها تعليمه نعمة القرآن، وهو في أعلى مراتب النعمة، وأقصى مراقيها، يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية أن الله علم الإنسان القرآن أي" إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه، لأنه أعظم وحي الله رتبة، وأعلاه منزلة، وأحسنه في أبواب الدين أثرا، وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها، وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره، ثم أتبعه إياه: ليعلم أنه إنما خلقه الدين، وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله"[51] ولتفسير مراد رب العالمين يتسلح المفسر بكل مستويات التحليل اللساني بدءا ب:

المستوى الصوتي:

إن الإدغام الواقع في صيغة "عَلَّمَ" يفسره علم الأصوات حيث وقع فيها إدغام المثلين، فأخفيت اللام الساكنة الأولى في اللام الثانية المتحركة، لأن الأصل هو "عَلْلَمَ" أي هناك زيادة في مبنى الفعل، وهو تكرير حرف اللام مما سيتولد عنها زيادة في المعنى على الأصل المجرد، وهذا ما سيفسره علم الصرف فادغم الحرفين للاستثقال لأن فك الإدغام يتلفظ باللامين برفع اللسان مرتين، وهذا فيه جهد في النطق، أما بالإدغام فيرفع اللسان مرة واحدة ففيه تخفيف وبدل جهد أقل كما يفسره المثال التالي:

(لْ) :صامت ساكن

لامين متماثلينالإدغام : عَلَّمَ

(لَ):صامت مصوّت متحرك

المستوى الصرفي:

إن تكرير حرف اللام في "عَلَّمَ" هو ما يسميه الصرفيون تكرير العين أي التضعيف، وأشهر دلالاته التعدية والمفسر على وعي بهذا التضعيف الصرفي، و مدى تأثيره في الجانب النحوي، وبالتالي التفسيري يقول الطاهر بن عاشور في فعل "عَلَّمَ" أثناء تفسيره للآية "وهذا الفعل هنا معدى إلى مفعولين فقط لأنه ورد على أصل ما يفيده التضعيف من زيادة مفعول آخر مع فاعل فعله المجرد،"[52] لان أصله المجرد يكتفي بمفعول واحد، وهنا ولما أراد السياق القرآني توسيع حقله الدلالي ليبلغ المفعول الثاني وردت الآية بصيغة "عَلَّمَ" لبيان ماذا علّم الله ولمن علم لأهمية ذكر الإنسان و القرآن في التركيب.

---

[50] سورة الرحمان، الآية: 1-2

[51] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج4، ص: 443

[52] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص: 231.

المستوى النحوي:

ينتقل المفسر إلى الجانب النحوي لبيان دور الصرف في التركيب القرآني، يقول الطاهر بن عاشور: "وانتصب القرآن على أنه مفعول ثان لفعل عَلَّمَ، وهذا المفعول هنا يصلح أن يتعلق به التعليم إذ هو اسم لشيء متعلق به التعليم وهو القرآن، ففعل عَلَّمَ؛ إذا ضعف كان بمعنى تحصيل التعليم".[53]

المستوى الدلالي:

فتضعيف عين الفعل الثلاثي المجرد في صيغة "عَلَّمَ" فتح أفق الدلالة في التركيب القرآني فقد ولد معاني جديدة اقتضاها السياق القرآني بمد تأثيره الدلالي إلى المفعول الثاني وهذا ما يبينه تفسير الآية "تعليم القرآن بوصفه المنة الكبرى على الإنسان تسبق في الذكر خلق الإنسان ذاته وتعليمه البيان".[54] " فإنه أساس الدين ومنشأ الشرع وأعظم الوحي وأعز الكتب[55]. فبتعدية الصيغة اتضح دور المفعولين وأهميتهما داخل السياق القرآني.

ومنه فالترابط والتدرج بين المستويات اللسانية قائم لا يقبل التجزيء، ولعل هذا السلم التكاملي يبين مدى التدرج والتآزر بين هذه المستويات:

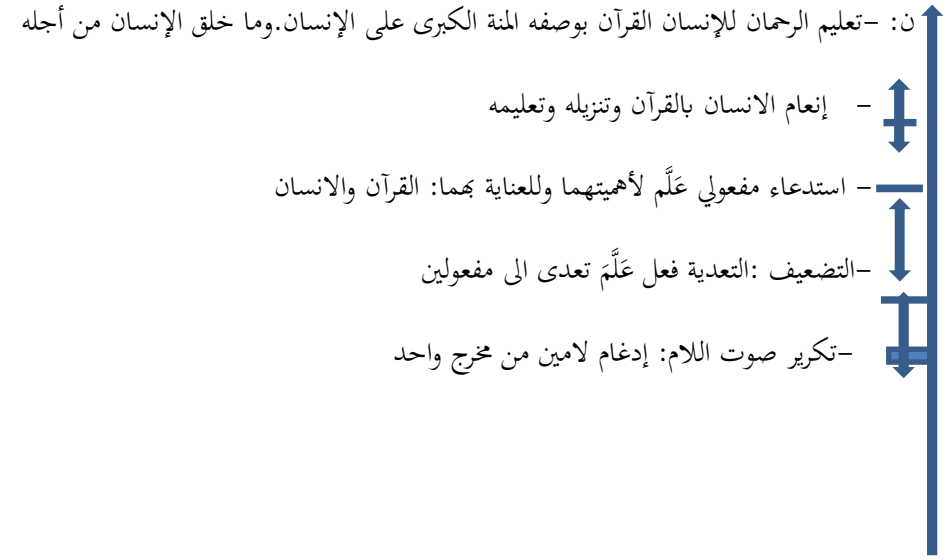

[53] نفسه، ج27، ص: 232

[54] سيد قطب، : إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ)، في ظلال القرآن، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ، النشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، ج 6، ص: 3445

[55] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: 685هـ)،أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: الأولى - 1418 هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج 5ن ص: 170

إن المستويات اللسانية تكون في مجموعها كلا متكاملا، وأن كل مستوى منها مرتبط بسابقه ولاحقه ارتباطا وثيقا، كما بين هذا الفصل في علم الصرف وعلاقته بالعلوم الأخرى، وهذا التكامل إنما يستمد مصدره من وحدة الهدف الذي نشأت هذه العلوم كلها من أجله، وهو خدمة النص القرآني وفهمه وحفظه وتوضيح معانيه وألفاظه، فتكاملت فيما بينها لتحقيق معرفة متكاملة وناضجة، وفهما دقيقا للمقاصد الربانية لأن توظيف كل علم في معزل عن العلم الآخر سينتج عنه فهم جزئي للقرآن، ومنه فالنص القرآني كتلة لغوية لا تقبل التجزئ.